جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

النزعة التأملية في شعر أبي فراس الحمداني

إعداد

د/ شيماء إسماعيل محمد مرسي
مدرس بقسم الدراسات الأدبية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة

(العدد الثامن والثلاثون)
(الإصدار الثالث .. أغسطس)
(١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

النزعة التأملية في شعر أبي فراس الحمداني

شيماء إسماعيل محمد مرسي

قسم الدراسات الأدبية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: shaimaaismaeel@yahoo.com

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى قراءة بنية الخطاب الشعري ذي النزعة التأملية لأبي فراس الحمداني، والكشف عن مكامن الشاعرية لديه، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الفني في تتبع عناصر وآيات الجمال الفني في التجربة الشعرية باعتبار ذلك المنهج الأوفق في استبطان درر النص وجواهره، وقد خلصَ البحث إلى نتائج عدة من بينها: أن تأمل أبي فراس يحمل طابعا فريدا في المضامين وبنية الأداء الشعري؛ إذ هيمنت على تجاربه الشعرية ذات الطابع التأملي مضامين بعينها،وأفكار تتردد أصداؤها في فضاءات نصوصه وتجاربه، فانجذبت الذات الشاعرة للانسجام مع رحلة التأمل الباطني العميق،وعَلَت سلطة الفكر على العاطفة، وبدت معاناة الذات وصراعاتها بين القوى المتجاذبة، فناء وبقاء، صبرا ويأسا، أملا وألما، وقد أسس أبو فراس ملامح تلك الشعرية فانطلق من بناء نفسي قوي متشح بالصمود والعزة والصبر في تجارب إبداعية يعلو فيها صوت الأنا،وتنوعت تأملاته بين النفس والكون والحياة، فجاءت نظرته أبدية تعلي قيما وتغرس فكرا، وتتجاوز ظواهر الأمور إلى باطنها، وكانت نظرة الحزن والانكسار التي هيمنت على وجدان الشاعر إحدى روافد نزوعه نحو التأمل،كذلك سببت مشاعر الوحدة والاغتراب التى خضّبت روحه ذلك النزوع إلى تأمل فلسفي عميق، يعيد تشكيل الرؤية الشاعرة بوعي خالص وإدراك لطبيعة الموجودات ونواميس الحياة.

الكلمات المفتاحية: النزعة، التأمل، أبو فراس الحمداني، بنية الخطاب الشعري، صوت الأنا.

The Contemplative Tendency in the Poetry of Abu Firas al-Hamdani

Shaimaa Ismail Muhammad Mursi
Department of Literary Studies, Faculty of Dar al-Ulum, Cairo University, Arab Republic of Egypt.
Email: shaimaaismaeel@yahoo.com

Abstract:
This research aims to read the structure of the contemplative poetic discourse of Abu Firas Al-Hamdani, and to reveal the sources of his poetry. The study relied on the artistic approach in tracing the elements and verses of artistic beauty in the poetic experience, considering that this approach is the most successful in introspecting the pearls and jewels of the text. The research reached several results, including: that Abu Firas' contemplation has a unique character in the contents and structure of poetic performance; His poetic experiences of a contemplative nature were dominated by specific contents and ideas whose echoes reverberated in the spaces of his texts and experiences. The poetic self was attracted to harmony with the journey of deep inner contemplation, and the authority of thought rose over emotion. The suffering of the self and its conflicts between the attractive forces appeared: annihilation and survival, patience and despair, hope and pain. Abu Firas established the features of that poetry, so he set out from a strong psychological structure adorned with steadfastness, pride and patience in creative experiences in which the voice of the ego roseHis contemplations varied between the soul, the universe, and life. His gaze was eternal, elevating values, instilling thought, and transcending the phenomena of things to their depths. The gaze of sadness and brokenness that dominated the poet's conscience was one of the tributaries of his tendency toward contemplation. The feelings of loneliness and alienation that tainted his soul also caused that tendency toward deep philosophical contemplation, reshaping the poet's vision with pure awareness and understanding of the nature of beings and the laws of life.

Keywords: Tendency, Meditation, Abu Firas Al-Hamdani, Structure of poetic discourse, Voice of the ego.

مقدمة:

يعـج هـذا الوجـود بـالكثير مـن المضـامين والأفكـار التـي تجـذب الـنفس الإنسانية عامة ،والذات الشاعرة خاصة للتأمل، لاسيما إذا أتيحت للنفس فرصة التدبر والتفكر في آيات الكون ومسارب النفس ونواميس الحياة، وقد تطفو فكرة بعينها على أمواج من شعرية التأمل،وقد تتلاطم الأمواج بمزيج من المضامين والأفكار فتعلو سلطة الأفكار على فيوضات الشعور،لكنها تأتي مفعمة بالمشاعر الواعية والتأمل الرشيد، ذلك التأمل الفلسفي الذي يعيد قراءة جوهر الأشياء فيزيد التجربـة الشـعرية نـورا وبريقـا،ويمنح الـنص الشـعري سـمة الخلـود عبـر امتـداد الأزمنة.

أسباب اختياري لموضوع هذا البحث:

ترجع أسباب اختياري لموضوع هذا البحث إلى مايلي:

- ثراء الشعر التأملي بالقيم العليا والمعايير المثلى والأفكار المنيرة،مما يجعل دراسته إضافة بديعة في حقل الدراسات الأدبية والنقدية.
- نزعة الباحثة إلى الاستقراء الباطني للشعر التأملي، وميلها النفسي لهذا النمط الفريد من الشعر.
- وفرة الشعر ذي النزعة التأملية لدى أبي فراس الحمداني، وتنوع مضامينه وأفكاره.
- جدة موضوع هذا البحث؛ فأغلب الدراسات النقدية لشعرية أبي فراس قد خلت من دراسة النزعة التأملية بشكل خاص.

الدراسات السابقة عن أبي فراس الحمداني:

هنـاك العديـد مـن الدراسـات الأدبيـة والنقديـة حـول أبـي فـراس الحمـداني وشعره،قدمها الباحثون وفق رؤية كل منهما ومنهجيته،أذكر من بينها:

- شاعر بني حمدان[١]
- أبو فراس الحمداني[٢]
- أبو فراس الحمداني، الموقف والتشكيل الجمالي[٣]
- بناء الجملة الخبرية في شعر أبي فراس الحمداني، دراسة توليدية تحويلية [٤]
- ثنائية الموت والحياة في شعر أبي فراس الحمداني[٥]
- الاغتراب بين أبي فراس والمعتمد بن عباد دراسة وموازنة[٦]
- أبو فراس الحمداني[٧]
- أبو فراس الحمداني في رحلة صيد ترفيهية،(دراسة في أرجوزته الطردية)[٨]

---

١ أحمد أحمد بدوي، شاعر بني حمدان، مطبعة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٥٢م

٢ أحمد أبو حاقة،أبو فراس الحمداني، بيروت، منشورات دار الشرق الجديد،١٩٦٠م

٣ النعمان القاضي، أبو فراس الحمداني، الموقف والتشكيل الجمالي، القاهرة،دار الثقافة للنشر والتوزيع،١٩٨٢م

٤ الشريف ميهوني، بناء الجملة الخبرية في شعر ابي فراس الحمداني،دراسة توليدية تحويلية، دار الشئون الثقافية، ١٩٨٨م

٥ أحمد فوزي الهيب، ثنائية الموت والحياة في شعر أبي فراس الحمداني، مجلة التراث العربي،العدد ١٠٥، يناير ٢٠٠٧م

٦ عمر عبد العزيز الحسيني، الاغتراب بين أبي فراس والمعتمد بن عباد،دراسة وموازنة، جامعة الأزهر، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية،المجلد ٢٦،العدد ٤، ٢٠١٠م

٧ شوقي المعريّ(دكتور)،أبو فراس الحمداني، الهيئة العامة السورية للكتاب،وزارة الثقافة،٢٠١٣م

٨ سميرة سلامي(دكتورة)،أبو فراس الحمداني في رحلة صيد ترفيهية(دراسة في أرجوزته الطردية)،مجلة جامعة دمشق، المجلد ٣٢، العدد٢ ،٢٠١٦م

- المفارقة اللفظية بين الرؤية والتشكيل: قصيدة "فخر وعتاب" لأبي فراس الحمداني نموذجا[1]

وجه الاستفادة من الدراسات السابقة:

كانت الدراسات السابقة بمثابة مصدر الإلهام لي في فكرتي البحثية، فضلا عن إثراء بحثي ببعض المراجع التي أعانتني في رحلة البحث والتذوق الجمالي للنصوص.

وجه اختلاف دراستي هذه عن الدراسات السالفة:

تختلف دراستي هذه عن الدراسات السالفة في تركيزها على النزعة التأملية لدى أبي فراس الحمداني وفق منهج فني يتأمل قيم الجمال الفني في تجاربه الشعرية في النفس والكون والحياة، فالبرغم من تلك الدفقات الشعورية النابضة بالتأمل في شعره لم يحظ شعر التأمل لديه بدراسة وافية تستبطن ملامح الشاعرية في تلك التأملات ذات الأثر الدلالي والفني البديع.

منهج الدراسة:

اخترت في هذه الدراسة المنهج الفني في تذوق النصوص، فهو من وجهة نظري الأقرب في تفجير ملكات النص الإبداعية ، وبيان جماليات الخطاب الشعري في نزعة الشاعر التأملية.

خطة البحث:

قسمت هذا البحث لمقدمة تشتمل على أسباب اختياري لهذا الموضوع، ونماذج من الدراسات السابقة ،وبيان وجه الإفادة من تلك الدراسات ،مع توضيح وجه الاختلاف بين دراستي تلك وغيرها، واشتملت المقدمة كذلك على بيان

---

١ عفاف الحاج بابكر، المفارقة اللفظية بين الرؤية والتشكيل: قصيدة " فخر وعتاب" لأبي فراس الحمداني نموذجا، جامعة الأزهر،، كلية اللغة العربية، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود،العدد ٣٣، ج٥، ٢٠٢٠م

المنهج المتبع في البحث ،وخطة الدراسة ،ثم جاء التمهيد ليتناول مفهوم التأمل لغة واصطلاحا ،ودلالة المفهوم في الدراست النقدية ،ثم جاءت الدراسة للتوزع على المحاور الآتية :

أولا :التأمل في النفس وناموس الحياة ،ثانيا: تأمل الكون وحركة الزمن ، ثالثا: التأمل وحركة المعنى الشعري، رابعا:التأمل واستبطان المشاعر الباطنية،خامسا: التأمل والتواشج الدلالي للأضداد، سادسا: التأمل وبنية الأسلوب والتركيب، سابعا : الخاتمة مشتملة على حصاد البحث،ثم ذيلت البحث بقائمة المصادر والمراجع التي استقت منها الدراسة ينابيع التحليل الفني وقراءات النصوص الشعرية .

تمهيد:

نبذة عن الشاعر:

هو أبي فراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني، ابن عم ناصر الدولة وسيف الدولة ابني حمدان،وكنيته أبو فراس،من أسماء الأسد،ينتسب من جهة أبيه إلى العرب،ومن جهة أمه إلى الروم،وُلد في منبج، وفيها سجل على الروم نصرا بعد نصر ،وكان يقود حينا فيالق العرب، فيحرق المدن ويسبي النساء،ويأسر الرجال،ثم يعود إلى قصره يوزع وقته بين الصيد واللهو وقرض الشعر،وزجى الشاعر حياته بين الحرب والشعر ، الهزل والجد،حتى ناهز الثلاثين.

وفي ذات يوم من أيام شوال سنة ٣٥١ هجريا، كان عائدا من الصيد مع قلة من أصحابه، فباغته الروم في ألف رجل،فدافع الشاعر حتى أثخن بالجراح،وأصابه سهم فوقع أسيرا،واقتيد إلى خرشنة ثم إلى القسطنطينية، وقيل: إن الروم أكبروا بطولة الشاعرفأكرموه وأنزلوه في قصر يقوم على خدمته فيه خادم،ولكن هذه المظاهر لم تستمل روحه المكبلة الحزينة،فراسل ابن عمه سائلا إياه الافتداء،وماطل سيف الدولة لسبب لا ندري حقيقته تماما،وكانت مرحلة الأسر المعين الذي منه استقى وجدان الشاعر، فمنه غرف الحزن بلا حساب،ومنه كان حنينه،ومنه كانت ثورته ونقمته وشكواه وفخره [١]، فلولا الأسر ما تدفقت ينابيع أبي فراس الشعرية.

١ انظر: ديوان أبي فراس الحمداني، شرح : د خليل الدويهي، بيروت، دار الكتاب العربي،ط٢، ١٩٩٤م ،ص٧، وما بعدها

النزعة التأملية لغة واصطلاحا:

ورد في المعجم الوسيط "نزع إلى أهله نزوعا: حنّ واشتاق، نزع عن الأمر: كفَّ وانتهى"[١]، وجاء في معجم الرائد لجبران مسعود: "النزعة، جمع نزعات،المرة من نزع،الميل والاتجاه، وفي الأدب: له نزعة كذا: أي ذهاب إليه"[٢]، فالنزعة بناء على ماسبق تعني الميل والتوجه.

والتأمل لغة مشتق من الجذر (أمل)،"والتأمل:التثبُّت،ويقال: تأملت الشيء أي نظرتُ إليه مستبينا له، وتأمَّل الرجل تثبَّت في الأمر ونظر"[٣]،وجاء في تاج العروس:" تأمل الشيء إذا حدّق نحوه،وقيل تدبره وأعاد النظر فيه مرة أخرى ليتحققه"[٤]،فالتأمل لغة يعني في مجملة دلالته: التحقق وإمعان الفكر.

أما التأمل في الاصطلاح فتنوعت تعريفاته،أذكر منها ما جاء عند الجرديّ من كون التأمل: "ثمرة التفكير العميق الذي يمتاز به الإنسان عن سائر المخلوقات الأخرى، فهو مراجعة للنفس، واسترجاع الخبرات الشخصية والأفكار والمشاعر الباطنية وتحليلها"[٥]،فالتأمل وفق هذه الرؤية يتجاوز مجرد التفكر إلى تحليل الفكرة والمشاعر تحليلا باطنيا من شأنه الارتقاء بالفكر الإنساني، ويرى بعض الباحثين أن التأمل "حالة من الغيبوبة الفكرية والاستغراق الذهني يغرق

---

١ إبراهيم أنيس، د عبد الحليم منتصر، محمد خلف الله احمد،عطية الموالحي،المعجم الوسيط،ج٢، دار المعارف، مصر،١٩٧٣م، ص٩١٣

٢ انظر: جبران مسعود، الرائد (معجم لغوي مصري)، مجلد ٢، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٧٨م،ص١٤٩٠

٣ ابن منظور، لسان العرب،،ط٢،(د ت)،دار صادر، بيروت،لبنان،مادة(أمل)،ص٢٧

٤ الزبيدي، تاج العروس في جواهر القاموس،(د ت)، دار الحياة، ص٣١٤

٥ وجدي أمين الجردي، أدب التأمل عند المنفلوطي،دراسة في نصوص النظرات والعبرات،دار الفكر اللبناني ، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م ، ص١٧

بها المرء حول موضوع يأخذ بمجامع فكره"[١]، فالتأمل يجبر الشاعر على الدخول في أجواء معينة تعينه على إمعان تدبره في كل ما حوله ومن حوله.

النزعة التأملية في الدراسات النقدية:

إن الشعر التأملي يسمعنا تلك الأصوات المتوارية في أعماق النفس؛فيجعلنا ننصت إلى "ترنيمة البلبل،ونوح الورق،وخرير الجدول،وقصف الرعد"[٢]، فالشعر ذو النزعة التأملية يجعلنا في تماس مع الوجود والموجودات، ويرينا بشكل أعمق عالما أعلى وأمثل " نقتبس منه القمم العليا والمعايير المثلى التي نقيس بها أوضاع هذه الحياة الدنيا لنعمل مقدار قربها أو بعدها عن الكمال "[٣]، فيزداد وعينا بالأمور والأشياء،" فالشعر التاملي يغوص في أعماق النفس البشرية باحثا عن الحقيقة والكمال والجمال والخير" [٤]،وهي معان وقيم تجعل النفس ترتقي في معراج الطهروالمُثل.

ويرينا الشعر التأملي جوانب عدة من النفس، فيجعل الاهتمام ببواطن الأمور والأشياء أسمى من ظواهرها، فيزيد صلتنا بكل ما من شأنه أن يكون أكثر بقاء وخلودا.

---

١ محمد التونجي (دكتور)، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ج ١، ط ٢، ١٩٩٩م،ص ٢٢٠

٢ ميخائيل نعيمة، الغربال،دار المعارف للطباعة والنشر، (د.ت) ، ص٦٦

٣ زكي نجيب محمود(دكتور)، مع الشعراء، دار الشروق، ط٢، ١٩٨٠م ،ص٦١

٤ معزيز مختارية، النزعة التأملية في الشعر العربي الحديث،إيليا أبو ماضي نموذجا،مقاربة تحليلية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراة في الأدب العربي، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، جامعة جيلالي ليابس/سيدي بلعباس،كلية الآداب واللغات والفنون،قسم اللغة العربية وآدابها،٢٠١٨م_٢٠١٩م،ص ١٢

وفي الصفحات الآتية نغوص في لُجج النزعة التأملية لدى أبي فراس في النفس والكون والحياة.

أولا : التأمل في النفس و ناموس الحياة:

يتأمل أبو فراس ناموس الحياة ومايعتريه من تغيير الأحوال، فتسمو روحه ويزداد وعيه بحتمية المصير الإنساني،"وإذا كان الموت غامضا ومجهولا في حالته العامة،فإنه لدى أبي فراس معلوم،موت تسبقه آلام الوحدة والعزلة والغدر"[١]، لذا يحاول أن يخفف من حدة ذلك الخوف داخله في الدفقة الشعورية الآتية[٢]:

أمَا يردعُ الموتُ أهْلَ النُّهى ... ويَمنعُ عنْ غَيةٍ مَنْ غَوَى

أَما عَالمٌ، عارفٌ بالزمانِ ... يَروحُ ويَغدُو قصيرَ الخُطَا

فيَا لاهيًا،آمناً،والحِمامُ ... إليه سَريعٌ، قَريب المَدى

إذا مَا مَرَرتَ بأهلِ القبُور ... تَيقنَّتَ أنَّكَ مِنهم غَدَا

وأنَّ العَزيزَ بِهَا والذَّليل ... سَواء،إذا أُسْلمَا للبِلى

غَربين،مَالهُما مُؤنسٌ ... وَحِيدين، تَحْتَ طِبَاقِ الثَّرى

فلا أمَلَ غيرَ عَفوِ الإله ... ولاعملَ غيرَ ماقَدْ مَضَى

فإنْ كَانَ خَيرا فخيرا ينالْ ... وإنْ كَانَ شَرا فَشَرا يَرَى

---

١ زكية بنت عوض الحارثيّ(دكتورة)، التشكلات الدلالية للخوف في شعر أبي فراس الحمداني،المملكة العربية السعودية،جامعة الملك سعود،قسم اللغة العربية وآدابها،كلية الآداب،مجلة كلية الدراسات العربية والإسلامية للبنات بدمنهور،العدد الخامس، الجزء السادس، ٢٠٢٠م،ص٧٤٥،ص٧٤٦

٢ ديوان أبي فراس الحمداني، ص٢١،ص٢٢

بنزعة تأملية تؤمن بوحدة المصير الإنساني يؤسس أبو فراس دلالة الدفقة الشعورية السالفة على بنيتين تتساوى في دلالتهما كل نفس إنسانية؛ إذ الوحدة والغربة يجمعان أحوال أهل القبور جميعهم(غريبين،وحيدين)، غير أن كلا من الوحدة والغربة تمتزج دلالتهما بإيحاء الصورة التي انتقاها الشاعر للتعبير عن حتمية الاستسلام؛ تلك التي استهلها بتعبيره الشعري (أُسلما للبلى)، بما تحويه من دلالات الانقياد،وتضاعف دلالة الصورة (طباق الثرى) من دلالات الهيمنة الكاملة وعدم القدرة على الإفلات من أسر ذلك المصير،مما يُعمّق من الأثر النفسي للبنية الشعرية؛ إذ الغربة ليست في فضاء طلق وإنما ترقد النفس معها في ظلام واستسلام.

وبحس إيماني بالغ يجعل الشاعر من هذه الصورة كل أمل موصول بالإله في عفو ومغفرة؛ ليجعل النفس في صلة دائمة بأعمالها الصالحة، وقد وفق أبو فراس فنيا في تشكيله لصورة نفسية تنقل للمتلقي مشاعر متقاربة لذلك الشعورالذي اعتراه، من خلال المزج بين دوال الخوف والرجاء، فعلى حين تلقي دوال الخوف (الموت، غوى،الحمام،أهل القبور،غريبين،وحيدين) في نفس المتلقي مشاعر الرهبة والهيبة، نجد الشاعر يسارع في خلق موازنة دلالية بدوال الرجاء (أمل، عفو،خير،ينال)، ليلقي ظلال الأمل في وجدان النفس ويحثها على فعل الخيرات، فتخفت رهبة الموت داخله؛ فاللغة التي انتقاها أبو فراس ههنا لغة دالة موحية تشي بالعديد من المشاعروالأحاسيس؛ "فالشاعر حينما يتعامل مع اللغة في القصيدة، لا يستخدم الحروف الأبجدية وحدها، بل يتعامل مع عدد من المؤثرات،فاللون والحركة والنوع والمعنى، ومن هنا يبدو التعامل مع اللغة بالمعنى الشامل" [1]،فتغدو اللغة حية دفاقة كجدول رقراق يفيض حيوية وجمالا.

١ انظر عز الدين إسماعيل (دكتور)، الشعر العربي المعاصر، دار العودة بيروت، ط ٥ .
=

وفي الدفقة الشعورية الآتية[١] حس تأملي يسبر أغوارِبعض النفوس البشرية:

احـــذرْ مُقاربـــةَ اللئـــام فإنـــه يُنبيـكَ عـنهم فـي الأمـورِ مُجـرِّبُ
قـــومٌ إذا أيْسَـــرتَ،كَانوا إخـــوة وإذا تربْـــتَ تفرَّقـــوا وتجنَّبـــوا
اصـبِرْ علـى رَيْـبِ الزَّمَـانِ فإنـه بِالصَّـبرِ تُـدرِكُ كُـلَّ مـا تَطلُـبُ

ببنية أسلوبية يراوح فيها أبو فراس بين الخبر والإنشاء يضع بين يديّ المتلقي خلاصة تجاربه في تحليل النفوس؛ فإذا به يقيم المرء من مواقفه حال يسرة المرء وعسرته؛ إذ الشدائد رمانة الميزان في الحكم على الآخرين، ولما كانت النفس تتألم مما تكاشفه من طباع إنسانية، فإن الشاعر يوصي بالصبر، إذ يعتبر خذلان الخلان من ريب الزمان وشدته.

وفي موجة تزدوج فيها الأصول بالفروع، وتتواشج مشاعر الوحدة بالأنس ينفث الشاعر أبياته الآتية [٢]:

أرانـــي وقَـــومي فرَّقتنـــا مـــذاهبُ وإنْ جمعتنـــا فـــي الأصـــولِ المناســـبُ
فأقْصـــاهُم أقصـــاهم مِـــنْ مســـاءتي وأقـــربُهم ممـــا كَرِهـــتُ الأقَـــارِبُ
غريـــبٌ وأهلـــي حَيـــثُ مَـــاكَرَّ نـــاظِري وَحِيـــدٌ وحَـــوْلِي مِـــنْ رِجَـــالي عَصَـــائبُ
نَسـيبُك مَـنْ ناسَـبتَ فـي الـوُدِ قلبَـهُ وَجَـــارُكَ مَـــنْ صَـــافيته لا المُصَـــاقِبُ

في الدفقة الشعورية السالفة يتأمل الشاعر تلك الأضداد التي تغمر مشاعره فتزيد هوة الصراع والألم النفسي داخله،فرغم ثبات الأصول تتفرق الفروع، ويغدو القريب دانيا، والقريب مقاصيا، ولا يتنازع الشاعر بين القرب والبعد المكاني بقدر تنازعه النفسي؛ فيستشعر الوحدة والغربة والوحشة رغم ما قد يُرى من كثرة الأهل

=

١٩٨٨م،ص٥٠، ص٥١

١ ديوان أبي فراس،ص٣٨

٢ السابق، ص٤٤

والخلان، فيختم المعنى الشعري في دفقته بحس تأملي عميق يؤطر به لعمق العلاقات وسموها، فإنما ينتسب المرء لمن يشبهه محبة وودا، إذ الأصول إلى الفروع تميلُ،وتجتذب الشاعر بنية المفارقة "بوصفها إحدى التقنيات الفنية التي تبرز الجوانب الخفية للنص وتسعى لاكتشاف مراوغاته اللغوية وإبراز متناقضاته وإنتاج شعريته"[١]، مما يعمق من البعد التأملي للتجربة الشعرية.

ونلمح في الألفاظ السالفة "توشحها ببنية صوتية أعانت الشاعر كثيرا في التعبير عن تلك المشاعر،إذ اتضحت قيمة الصوت من خلال التضعيف الذي لجأ إليه،،ومنح النغم الدال على ما تجيش به النفس من حزن وتكسر، فالشعر جاء بفعلين: الأول مضعّف (فرَّق)،والآخر غير مضَّعف (جمع)، ليوضح في الصوت الأول هيمنة التفرق بين الشاعر وأبناء قومه، وأما الصوت الثاني (جمع) فلم يرد إلا لمطلق الجمع بينهم في النسب"[٢]، فتزداد هوة الشعور بالألم والاغتراب.

ويبدع الشاعر في تتبع المعاني والمشاعر الأكثر عمقا في الدفقة الآتية[٣]:

وأعظَمُ أعداءِ الرجَالِ ثِقاتُها وأهْونُ من عَاديتهُ مَنْ تُحَارِبُ

وَشَرُّ عدويكَ الذِي لا تُحارِبُ وخَيرُ خَليلكَ الذي لا تُناسِبُه

وبحس تأملي يستبطن به الشاعر حقائق النفس البشرية يوغل في فهم ماوراء المشاعر الظاهرة ، فيدرك بإحساسه ذلك التناقض الذي يعتمل الشعور؛ إذ

١ سالم عبد الرزاق سليمان،بنية المفارقة وانماطها في روميات أبي فراس الحمداني، الجامعة المصرية للدراسات السردية،العدد ٣٢، ٢٠١٩م المستخلص

٢ م م كريم عجيل الهاشميّ، الاغتراب والحنين في شعر أبي فراس الحمداني، جمهورية العراق،جامعة واسط، مجلة كلية التربية، العدد ١٤، ٢٠١٣م،ص٣٦

٣ ديوان أبي فراس، ص٤٤

ليس كل من يداني المرء مخلصا له، وقد تتصارع النفس مع تلك الأغيار، لكنها تزداد بمعرفة النفوس وطبائعها خبرة وتجربة.

لقـــدْ زِدْتُ بالأيَـــام والنـــاسِ خبـــرَة وجرَّبـــتُ حتـــى هـــذَّبتني التجَـــارِبُ
ومـــا الـــذنبُ إلا العجـــزُ يركبُـــه الفتـــى وماذنبـــــه إن طاردتـــــه المَطالـــــبُ
ومـــن كـــانَ غيـــر الســـيف كافـــل رزقـــه فللـــــذلِ منـــــه لا محالـــــةَ جانِـــــبُ
ومـــا أُنـــسُ دارٍ لـــيسَ فيهـــا مُـــؤانسٌ ومـــاقربُ قـــوم لـــيس فيهـــا مُقـــاربُ
أرى النَّـــاسَ مُهْتمـــين فـــي جَلـــبِ حاجـــةِ تقـــبلهم فـــي الـــدهرِ والـــدَّهرُ كَـــاذبُ
وإنـــي لَـــمْ أنظـــرْ خَلـــيلا وصَـــاحبا وفِيـــا إذَا نَابتُـــه فِيهَـــا النوائِـــبُ
وإنّ البَقَـــا للهِ فِـــي كُـــلِّ مَطلـــبٍ وإنَّ الفنـــى للخَلْـــقِ والخَلْـــقُ ذَاهـــبُ
وأســـألُه حُســـنَ الخِتَـــامِ فَـــإنني لرحمتِـــه فـــي البـــدءِ والخَـــتمْ طالـــبُ[1]

إن التجربة بالنسبة للشاعر زاده الأول في الحكم على الأشياء والأشخاص، واختبار المودة الصافية؛ وتتماوج مشاعر الشاعر بين الحكم التجريدي على الأشخاص وتسرب الحزن داخله حين يدرك ماهية الطبائع، فينتقل لنمط آخر من أنماط التأمل، حيث تأمل أحوال النفوس في السعي والركود، فيرى عزة المرء في مسعاه، وذله في ركوده وهوانه، لكن الشاعر يعود لتلك الدوائر النفسية التي تزكي شعلة الألم داخله، حيث افتقاد الأنس والود الخالص، وهي بؤرة دلالية تنبثق منها العديد من المعاني الشعرية لدى أبي فراس الحمداني، فهو دائب الحديث عن افتقاد الأنس والألفة والوفاء، ويربط الشاعر بحسه التأملي بين مشاعر الوفاء والبقاء، فيضفي عليها طابعا فلسفيا؛ حيث يرى الفناء أصل ذلك الوجود مما يجعل الوفاء أصدق حين تتنزل على النفس النوائب وتعتريها الأغيار.

ولما كان أبو فراس يتمتع بتلك النزعة التأملية الرقيقة فإن ربطه بين الثابت والمتغير، والحضور والغياب [2] يتسم بالتفرد والحس العميق لبواطن

---

١ ديوان أبي فراس ، ص٤٥

٢ انظر: حازم حسن سعدون، فاعلية النص الشعري بين الحضور والغياب في روميات أبي فراس الحمداني،جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، المجلد ٢٩، العدد١، ٢٠١٨ م =

الأمور، فيربط ذلك الربط النفسي بين بقاء المودة وفناء ماتتملكه النفس، فيرى الوفاء المطلق يتمثل في تلك المشاعر الباقية رغم تقلبات الأحوال والأزمان، وبين الموجود والمفقود يخرج من النص برضا واستسلام يدرك أن كل مآلات الصراع إلى زوال فيرجو العفو وحسن الختام، في حياة كانت تعج بكل ما من شأنه أن يزيد هوة الألم والصراع في أعماقة.

ثانيا : تأمل الكون وحركة الزمن :

ينتبه أبو فراس لذلك الارتباط الوثيق بين حركة الأزمان والأكوان ،وتبدل كل منهما من حال لحال، ذلك التبدل الذي يعد سنة وجودية يتماوج فيها البقاء والفناء يجذب انتباه الشاعر لمزيد من التأمل الباطني الذي ينفث فيه من رؤيته وروحه وفلسفته الشاعرة.

وفي الدفقة الشعورية الآتية ينفث الشاعر فيها آلام نفسه الشاجية[1]:

ولَـمْ يبـقَ مِنـي غَيـرُ قلـبٍ مُشـيع وعُـود علـى نَـابِ الزمَـانِ صـليب
لقيـتُ مـن الأيـامِ كـلَّ عجيبـةٍ وقـابلَنِي دهْـرِي بوجْـهٍ قَطُـوب
تحملـتُ خـوفَ العـار، أعظـم خطـة وأملـت نصـرا كـان غيـرَ قريـب
رَضِـيتُ لِنفسـي(كـان غيـر موفـق) ولـم تَـرضَ نفسـي (كـانَ غيـرَ نجيـب)

إن تأملة للدوال الشعرية في الدفقة السالفة لتكشف لنا عن ذلك العالم النفسي للشاعر الذي انعكس بدوره على بنية الألفاظ؛ فبقاء القلب إنما هو بقاء لأشلاء أمل، لذا كان وصفه بصورة(قلب مشيع وعود) انعكاسا لصراع الشاعر الممتد عبر رحلة وجوده؛ إذ القلب مشيع للوعد،(صليب)،بكل ماتحمله دلالات

=

ص ١٧٠٦ ومابعدها

١ ديوان أبي فراس، ص٥٤

الصورة وبنية (فعيل) من عذابات الفؤاد ومعاناة النفس؛ إذ توحي كلمة (صليب) بهيمنة الزمن وسطوته الطاغية على فؤاده.

ويمضي الشاعر في سرد معاناته في بنية البيت الثاني، وتتوالى بنى الفعل الماضي الموحية بثبوت واستقرار تلك المعاناة، وتتشح الصورة ههنا بوشاح من الأسى، وتغدو ملاقاة الدهر ملاقاة وجه عابس " قطوب" بما تحملها من دلالات النفور والإعراض، ورغم تلك المجاهدة يعلن الشاعر جهاده في سبيل تجاوز الأزمة ببنيتي الفعل "تحملت"، و"أملت" بدلالاتهما الإيقاعية الدالة على المثابرة، وفي وصف النصر المرتقب بكونه"غير قريب" مزيد ألم للشاعر، إذ النفس مجلوبة على التصبر على ماقد يغدو قريبا،لكن شاعرنا يبلغ من تصبره مبلغ الجهاد، فيرتقب نصرا بعيد المنال.

ويكشف أبو فراس عن بنائه النفسي في البيت الأخير، إذ يرتضي أن يذكر اسمه بين الناس ساعيا وإن لم يوفق لمبتغاه ولا يرتضي أن يوصف بغير ذلك، وهنا تكتمل البؤرة النفسية للشاعرة التي تنبثق من حس شفيف يدرك مآلات الحياة وصراعاتها التي تعتري النفس البشرية.

ثالثا: التأمل وحركة المعنى الشعري :

حين يتأمل الناقد حركة المعنى الشعري لتجارب التأمل لدى أبي فراس،يجدها مغلفة بمشاعر الحزن، ومتشحة بوعي يقطر حكمة ودراية بجواهر المعاني والأشياء،وتنموحركة المعني لديه بانتقاء دال موح لصوره المشربة بالإيحاء ،وبنية شعرية تنسكب فيها دلالات المفارقات انسكابا ،فيخلق لنفسه زمنا ذاتيا يعيد فيه صياغة الأفكار والشعور.

ويتأمل أبو فراس أعماق نفسه فيذهب مفتشا عن أحزانه في الدفقة الشعورية الآتية[1]:

وعَارضَني السحابُ فقلتُ مَهْلا فإني مِنْ دمُوعِي فِي سَحَابِ
وأنْتَ إذَا سَكَبتَ سَكبتَ وقتًا ودَمعِي كلُّ وقْتٍ في انْسكَابِ
فهَبْكَ صَدقتَ دَمعُكَ مثل دمعي فهل مابِكَ في الجَوانحِ مثل مَابِي؟

يؤسس الشاعر أبياته السالفة بحس موسيقي عذب رقراق يعتمد التكرار المشرب بالدلالات الرحبة؛ فتشكل السحاب وقتيا يعبر عنه الشاعر بقوله "سكبت وقتا" وكأن مرور الوقت على شاعرنا يتدفق في وجدانه من فرط إحساسه به، فالذات الشاعرة يزاد وعيها بالوقت وحركة الزمن وتتأمله تأملا شفيفا، "إذ ارتبط وعي الإنسان بالزمن منذ وعيه على طبيعة الأشياء والكون من حوله،من خلال ما يطرأ على الأشياء من تبدلات وتحولات"[2] ويعمد الشاعر لإظهار المفارقة فتتشطر الدلالة بين شطرين يحمل كل منهما معنى ودلالة:

(وأنت إن سكبت سكبت وقتا / ودمعي كل وقت في انسكاب)، لتكون الدلالة منشطرة بين الشطر الأول والثاني في ظاهرها، لكنها منشطرة بين الشاعر والوقت وحركة الزمن في باطنها، فمع الوقت تنحسر السحب،لكن حال الشاعر بمرور الوقت تؤديه بنية "في انسكاب" التي توحي بدوام انسكاب الدمع واستمرار روافده، وبين الإخبار والإنشاء يعمق الشاعر من دلالات الأسى داخله في البيت الثالث؛ فإن تساوت الأفعال المادية من ذرف الدمع فإن الأسباب النفسية مختلفة، لذا يعظم الشاعر من جوانحه ببنية الاستفهام المفعمة بزفرات الأسى والحزن

١ السابق، ص٥٧، ص٥٨

٢ مريم جبر فريحات، الزمن في شعر أدونيس، قصيدة الوقت نموذجا، المجلة العربية للآداب، المجلد ٣، العدد١، ٢٠٠٦ م ص٥١

(فهل ما بك في الجوانح مثل ما بي)؟ بتلك النغمة " التي تعبر عن نفس ملتاعة ساخطة "[١] تبث أنفاس سخطها في بنية شعرية تترنم بالألم.

إن نفثة الشاعر السالفة صدى لوعيه بناموس الكون وقوة عامل الزمن، فقد عكست الأبيات الثلاث تلك العلاقة الجدلية المتبادلة بين الذات والزمان والأثر الفني والنفسي[٢]، فثمة تجاذب بين وعي الشاعر بالوقت وأثره على انشطار دواله الشعرية بين رحى الذات والآخر، ذلك الآخر الذي انتقاه من صور الطبيعة حيث السحاب بكل ما تنبض به من دلالات ركون الشاعر للسكينة والاطمئنان النفسي والعبور بسلام، إذ "يحاول الشاعر ببناء المعاني الشعرية خلق زمان مختلف عن الزمان الطبيعي، فإما يعمد إلى تسريعه أو إبطائه أو يتحرر من قيوده، مع ما يناسب المعنى الشعري"[٣]، وفي الدفقة السالفة حاول أبو فراس – بشكل أو بآخر – التحرر من قيود ذلك الزمن بالتعمق في تأمله لمواطن الألم النفسي داخله، فجاءت الأبيات استجابة لانفعال باطني، "فالشعر استجابة انفعالية تعكس إحساس الشاعر القوي وتأثيره العميق بالعالم"[٤]، فيأتي شعره مترجما للشعور والأحاسيس.

---

١ حنان أحمد عبد الله، النفسية الساخطة في روميات أبي فراس الحمداني (عرض وتحليل ونقد)،جامعة الأزهر، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، المجلد ٣١، العدد ١، ٢٠١١م،ص٧١٦

٢ انظر: ميرهوف هانز، الزمن في الأدب؛ ترجمة أسعد رزوق، مراجعة العوضي الوكيل، القاهرة، مؤسسة سجل العرب،١٩٧٢ م، ص ٩

٣ عبد الكريم اليافي، دراسات فنية في الأدب العربي، بيروت، مكتبة لبنان، ط١،١٩٩٦م، ص٢٢_ بتصرف_

٤ عبد الصاحب مهدي علي (دكتور)،مفهوم الشعر ولغته، خصائص النص الشعري، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الإمارات العربية المتحدة،المجلد ٨، العدد ٣،أكتوبر،٢٠١١م،ص٢٠٤ –بتصرف يسير–

رابعا: التأمل واستبطان المشاعر الباطنية :

وحين يمعن الشاعر تأملات الزمان بحس واع مفرط الحس فإنه يتأمل بالضرورة ذلك المشيب الذي يغزو رأسه ،فيكون دليلا على ما فات من صراع ألم وأمل،كما أنه يستبطن المشاعر الباطنة فيتجاوز قراءة الظاهر إلى الباطن ، بلغة دفاقة وتشكيل لصور متوهجة بالإيحاء، وهذا ما تؤديه البنية الشعرية الآتية[1]:

شعراتٌ في الرأسِ بِيضٌ وغُنج حَلَّ رَأسي جَيشانِ رُومٌ وزِنْجُ

أيها الَّشيبُ لم حلَلْتَ برأسِي؟ إنما لي عَشرٌ وعَشرٌ وبنجُ

يمزج الشاعر بشكل إبداعي بين دلالات اللون ودقة انتقاء الصورة للتعبير عما يجيش في وجدانه، فانتقاء غزو اللون الأبيض للشعر يعبر به ببنية (جيشان)، ليحملها دلالة الغزو غير القابل للإيقاف وحشد القوى، فتتوازى دلالة (بيض وغنج) مع دلالة (روم وغنج)، فتتضاعف دلالات الصورة، ثم ينتقل الشاعر ببنية البيت الثاني لبنية الإنشاء المفجرة لمشاعره الكامنة داخله، إذ يعجب من مشيب في عمر كعمره،"ويسعى أبو فراس إلى توليد استجابة لدى المتلقي وذلك من خلال إطلالة مفعمة بمسحة خيالية تشد المتلقي وتبعثه على التأمل"[2]، فالنظر للشعيرات على كونها جيوشا لها سطوة ونفوذ ينطوي في ذاته على خيال يتواشج مع نفسية الشاعر المرتبطة بالفروسية وخوض المعارك ومقاومة الجيوش.

---

١ ديوان أبي فراس،ص ٧١

٢ سعاد عزيز جداع، الصورة الاستعارية في شعر أبي فراس الحمداني،جمهورية العراق، جامعة ديالي،كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، ٢٠١٢م، ص٩٦

ويتأمل أبو فراس المشاعر الدفاقة وإن بدا من المرء ما يغاير دلائلها من جفاء مُقنَّع في البيتين الآتيين[١]:

لَـــمْ أؤاخـــذْكَ بالجفـــاءِ لأنِّـــي واثـــقٌ منـــكَ بالوفـــاءِ الصـــحيحِ

فجَميـــلُ العَـــدو غَيـــرُ جميـــلٍ وقَبـــيحُ الصـــدِيقِ غَيـــرُ قَبـــيحِ

فأبو فراس يقرأ بواطن الأمور وإن بدت الأفعال مغايرة للشعور، ويتقبل تلك التقلبات النفسية والأغيار المختلفة التي قد تنتاب النفس، فتُقبل حينا وتُدبر حينا،فيلتمس للصديق الوفي في أصل طبعه المعاذير ناظرا في أعماق نفسه مستحضرا أفعال الوفاء الضاربة بجذورها في وجدانه.

وحين يتأمل أبو فراس أحوال النفوس فإنه يتوقف أمام أمراض القلوب، فتتفجر الشاعرية داخله، وينسج من ترانيم روحه مشاعر الألم مما يلاقيه من غل وحقد وحسد، يمثل لذلك النفثة الآتية[٢]:

لمَـــنْ جاَهـــدَ الحُســـادَ أجـــر المجاهـــدِ وأعْجـــزُ مَـــا حاوَلْـــتُ إرضـــاء حَاســـدِ

ولَـــم أرَ مثلـــي اليـــومَ أكثـــرَ حَاســـدا كـــأن قلـــوب النـــاس،لي، قلـــب واحـــد

ألـــم يـــر هـــذا الـــدهر غيـــري فاضـــلا؟ ولـــم يظفـــر الحســـادُ قبلـــي بماجـــد؟

أرى الغـــلَّ مـــن تحـــتِ النفـــاقِ،وأَجْتني، مـــن العســـلِ المـــاذي ســـمَّ الأســـاودِ

تنم الأبيات السالفة عن حزن يعتمل الذات الشاعرة ويختلط الحزن بنوع من أنواع الاعتداد بالذات وعلو صوت الأنا رغم مظالمها وانكسار أحلامها؛ فيثبت أبو فراس لنفسه سمات الفضل والمجد والتفرد، تلك التي من شأنها اجتذاب أمراض القلوب حوله، فمن بين غل ونفاق وحسد حاسد، وحين نتأمل المعجم الشعري للأبيات نلمح تآزرها الدلالي ، وارتكازها حول بؤرة مركزية واحدة تشع من بينها المعاني وتتنامى التراكيب (أعجزُ، الغل، النفاق، سم الأساود)،فيستهل

١ ديوان أبي فراس، ص ٧٨

٢ السابق ص ٩٩

الشاعر الأبيات ببنية (جاهد) الموحية ببذل منتهى القوة لدفع الأذى الكامن في حسد الحساد،وتنشطر الدلالة لتتوزع بين شطري البيت؛ فيكون أجر المجاهد موازيا لإرضاء الحاسد، وبينهما تتفجر مكامن الألم بين جنبات النفس.

وقد انتقى أبو فراس الروي المكسور لدفقته الشعورية لتتماوج دلاليا مع ما اعتمل بين جوانحه من انكسارات نفسية ومعاناة باطنية.

وبين معاناة الصبر على الأذى وافتقار النفس لقلب لا تغيره الأزمنة تنبض الأبيات الآتية بصدحة متألم:[1]

وأصبرُ ما لمْ يحسب الصبرُ ذلة وألبسُ للمَذمومِ حُلة حامدِ

قليلُ اعتذار مَن يبيتُ ذنوبه طِلابُ المعالي واكتساب المحامدِ

وأعلمُ إنْ فَارقتُ خِلا عرفتُهُ وحاولتُ خِلا أنني غَيرُ واجدِ

يوازن أبو فراس بين أفعال المضارعة والماضي موازنته بين الصبر على اللأواء وإعلان انكساره النفسي، فينتقي صورة تعكس مدى صبره رغم الضر (وألبس للمذموم حلة حامد) بما تنبض به دلالة الفعل(ألبس) من معاني المثابرة والمجاهدة في إظهار الحمد والنعماء رغم معاناة النفس من البأساء والأحزان المتواترة،فتعتمل النفس بمزيد من الصراع الناتج عن إخفاء المحن وتواري المشاعر الدفينة خلف لباس من الحمد الدائم.

وفي البيت الثالث من النفثة السالفة تؤدي بنية الفعل الماضي دلالات ثبوت الأمر واستقراره، تلك التي تنبثق منها الدلالة المركزية لمعاناة الشاعر (أنني غير واجد) بما تنبض به من دلالات خيبة الأمل:

وأعلمُ إن فارقتُ خِلا عرفتُهُ وحاولتُ خِلا أنني غيرُ واجدِ

---

١ السابق، ص ١٠٠

وإمعانا في محاولات التخفي وظهور الذات بموضع المتجلد يعمد الشاعر للحذف في الشطر الثاني، والحذف في النص الشعري مثير من مثيرات التأويل لدى المتلقي[١]، يدفعه لإعمال الذهن ومتابعة الدلالة من خلال تقدير البنية المحذوفة؛ إذ التقدير (وحاولت أن أجد خلا)، فلما كان السعي يذهب سدى حذف الشاعر مجرد ذكره تلك المحاولة.

خماسا: التأمل والتواشج الدلالي للأضداد:

يمعن أبو فراس تأمل أحوال الصحاب من حوله فيعلم صدق المودة من زيفها،ويميزالخفيّ من الجليّ، فتتواشج في تجاربه الأضداد ، وتتعمق إيحاءاتها،وتتنامى دلالاتها ، يمثل لذلك الدفقة الشعورية الآتية[٢]:

وما كلُّ أنصاري مِن الناسِ ناصري ولا كلُّ أعْضادي من الناسِ عاضِدي

وهلْ نافعي أن عضّني الدهرُ مُفردا إذا كانَ لي قومٌ طوال السَّواعدِ؟

وهل أنا مَسرورٌ بقرب أقاربي إذا كانَ لي منهم قُلوبِ الأباعدِ؟

يدرك الشاعر صراع الظاهر والباطن، ويرفع الأقنعة عن حقائق النفوس؛ فيقيم معيار المحبة الخالصة على أسس الوفاء والبقاء رغم تقلبات الأزمنة،فبقراءة باطنية للأبيات السالفة نستشف وعيا كامنا بتقلبات النفس والحياة،فناصر المرء قد يكون في الحق أشد من يخذل،وبين القرب والبعد يحتكم أبو فراس لما يستشعره من غصة في الحلق،فينتقي صورة دامية نابضة بمعاني الألم النفسي المعتمل

١ انظر: سلمان باني، محمد فرحان، دلالة الحذف في شعر الدكتور زهير غازي زاهد، مجلة اللغة العربية وآدابها،العدد ٣٥، ٢٠٢٢م،ص٤٣٥ ومابعدها، وانظر أيضا: باكير محمد علي،أسلوب الحذف في الجملة الفعلية،دار كتابي للطباعة والنشر والتوزيع،ط١ ،٢٠٢١ م،ص٢٠ ومابعدها

٢ ديوان أبي فراس، ص١٠٠

داخله، (عضني الدهر) بما تحمله تلك الصورة من دلالات العنف والشراسة التي لاقاها في حياته.

وفي تأملة لتقلبات الدهر يتأمل أبو فراس جوهر الحياة والصبر على أزماتها في خطابة امرأة نزلت بها البلايا[1]:

ألا فاصبِري لخطُوبِ الزمان وكُوني على خَطْبِه صَابره
فنُقصانُ حظكِ في هذه برجحانِ حظِّكِ في الآخره
فما أنتِ في ذاك مَغبونةٌ وإن سَاءت المِحنُ الحاضره
فصفْقةُ مَن بَاعَ دارَ البقاء بِدارِ الفناءِ هي الخَاسره

فأبو فراس في الأبيات السالفة يعمد لخلق توازن نفسي لدى المتلقي بجانب التوازن الفني بذلك المزج بين المتناقضين (نقصان / رجحان) والتواشج الدلالي بين الأضداد (الفناء/ البقاء)، فيكون النقصان من نصيب دار الفناء ويكون الرجحان من نصيب دار البقاء، وهي معادلة نفسية مُرضية إلى حد كبير، رسخ لفكرتها الشاعر عبر امتداد تجارب شعره التأملي، فضلا عن ثراء البعد الجمالي للأبيات الذي يجذب انتباه المتلقي لمتابعة الدلالة المنبثقة من هذه الأضداد.

لم يمارس أبو فراس الصبر وحده بل أوصى به كثيرين غيره، وفي الدفقة الشعورية السالفة،يشطر الشاعر دواله على شطري (البقاء والفناء)، ثم يذهب لموزنة تأملية لمآلات كل رؤية على حدة؛ فيأتي النقصان موازيا دلاليا للرجحان، فيكون الأجر مقابل الصبر في ختام الدفقة ببنية الإخبار التقريري الموحية باليقين.

---

١ السابق، ص١٢٣

وفي الصبر يقول أيضا[١]:

صـــبرتُ علـــى اختيـــاركَ واضـــطراري وقـــلَّ مـــع الهـــوى فيـــك انتصـــاري
وكـــانَ يعـــافُ حمـــلَ الضـــيمِ قلبـــي فقـــلَّ علـــى تحمُّلـــهِ قَـــراري
فـــديتُكَ طَـــالَ ظلمُـــكَ واحْتمـــالي كمـــا كثُـــرت ذنوبُـــك واعْتـــذاري

وفي سياق تأملات أبي فراس لتقلبات النفوس وما يعتريها من تغيير يؤسس الدفقة الشعورية السالفة على شطرين دلالين (ماكان وماصار) بين تجلد وصبر على الضراء وإعلان الأذى وافتقار النفس لمزيد من التحمل،وتصب الدوال جميعها في دائرة الذات (اضطراري، انتصاري، قراري، احتمالي، اعتذاري) لتنم عن كون جميع محاولات إبقاء الوصل والود إنما ترجع للذات الشاعرة، وتجمع الدفقة بين ثنائيات الأضداد من المشاعر، فيستشعر المتلقي عظم المعاناة، فتصبح الدلالة الكلية (كثرت ذنوبك / قل انتصاري/ طال ظلمك / طال احتمالي)، فتحظى الذات الشاعرة بالنصيب الأوفر من الصبر وإبقاء الود.

ويلتقط الشاعر من الحياة جانبا من جوانب التأمل؛ إذ الأغيار تلمس كل نفس في النفثة الآتية[٢]:

هـــلْ تَـــرى النعمـــةَ دامـــتْ لِصـــــــــغيرٍ أو كَبيـــــــــرِ؟
أوْ تـــــرى أمـــــرَين جَـــــاءا أولا مِثـــــــــلَ أخيـــــــــر؟
إنمـــــا تجـــــرِي التصاريـــــــ م ـــــــفُ بتقليـــــبِ الـــــدهورِ
فَفقيـــــــرٌ مِـــــنْ غنـــــي وغنـــــي مِـــــنْ فقيـــــرِ

١ السابق ١٨٤

٢ السابق، ص١٨٥

بمزج بين الأضداد تتدفق الدلالة في الأبيات السالفة؛ فالصغير مقابل الكبير والأول يضاد الأخير، والغنى في وجه الفقير، ويتولى الدهر مهمته في تبديل الأحوال والأشكال، فيتأملها أبو فراس تأمل الراضي القانع، ويحمل التدوير في البيت الثالث دلالة انشطارنفسية الشاعر بين ضدين رضا وسخط؛ إذ يحمل التدوير قيما معنوية وصوتية[1]، تثري فضاء التأمل وتلفت المتلقي لما وراء الأثر الصوتي.

وفي تأمله شيم الكرام يقول [2]:

غَيري يُغيره الفعالُ الجافي ... ويَحولُ عنْ شيمِ الكِرامِ الوافي
لا أرتضي وُدا إذا هُو لَمْ يَدُمْ ... عِندَ الجفاءِ وقلة الإنصافِ
تعِسَ الحَريصُ وقَلَّ ما يأتي بهِ ... عوضًا من الإلحاحِ والإلحافِ
إنَّ الغنيَّ هو الغَني بنفسهِ ... ولو أنه عار المَناكبِ حافِ
ما كُلُّ مافوقَ البَسيطَة كَافيا ... فَإذَا قنعتَ فكُلُّ شَيء كافِ

ينظر أبو فراس بحس فلسفي لبواطن الأمور فلا تغره ظواهرها، فيرى الرضا والتواد والإنصاف من شيم الكرام، بينما يرى الحريص أشد الناس جفاء، تجتذبه الطاقات المادية وتضلله أمتعة الحياة الزائلة، ويلح أبو فراس في شعره على معان ومشارب الغني نفسا وروحا؛ إذ غنَيٌ النفس أقرب للمودة الخالصة عمن سواه، فتنساب في روحه مشاعرالرضا والقناعة ،وهما أجل ما يميز النفس من منظور أبي فراس.

---

١ انظر: فيصل أصلان، التدوير والتضمين في شعر ابن النقيب الحسيني الدمشقي، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٨، العدد ٢ ، ٢٠١٢م، ص١٧

٢ ديوان أبي فراس، ص٢٢٣

وقال في تأمله معونة الخالق[١]:

إذَا لـــم يُعنـــك اللهُ فيمَـــا تريـــدُهُ فَلـــيسَ لمخلُـــوقٍ إليـــهِ سَـــبيلُ
وإنْ هـــو لَـــمْ ينصـــرْكَ لَـــمْ تلـــقَ ناصـــرا وإن عـــزَّ أنصـــارٌ وجـــلَّ قبيـــلُ
وإن هُـــو لـــم يرشـــدكَ فـــي كـــلِّ مَسْـــلكٍ ضَـــللتَ ولـــو أن السِّـــماكَ دلَيـــلُ

فشعرية أبي فراس نابضة بحسه التأملي الإيماني، يسلم قياده لمطلق الإرادة الربانية، ويؤمن بأنوار الله التي تصطفي من عباده فتنير لهم السبيل، وهو ما دارت حوله المعاني في الأبيات السالفة.

وفي تأمله للاعتذار يقول[٢]:

ألْعـــذرُ مِنـــكَ علـــى الحَـــالاتِ مقْبـــولُ والعَتـــبُ منـــكَ علـــى العِـــلاّت مَحمـــولُ
لـــولا اشْـــتياقِي لَـــمْ أقُلْـــقْ لبعـــدكمُ ولا غَـــــدا فـــــي زمانَي،بعـــــدكم،طولُ
وكـــــلُّ مُنتظـــــرٍ إلاك مُحتقَـــــرُ وكـــلُّ شـــيءٍ ســـوى لُقيـــاك مَملـــولُ

فالاعتذار لغة سامية بين المتحابين يقدرها أبو فراس على أية حال، فإن كان من المحبوب فإن له عظيم الأثر،فالمحبوب مستثنى على أعذاره وعلَّاته،لذا ينتقي الشاعر للتعبير عن ذلك بنية (لولا) لتنبض بامتناع حصول أمر لامتناع غيره، كذلك أداة الاستثناء (إلا) تضيف للمعنى الدلالي جانبا من استثناء الذات الشاعرة للمحبوب ووقوعه بمزلة المتفرِّد .

سادسا: التأمل وبنية الأسلوب والتركيب:

ينتقي أبو فراس لتجاربه التأملية من البناء اللغوي والتركيبي ما يعمق الدلالة على ماتنبض به خلجات فؤاده،وتجيش به مشاعره ،وفي تأمله لمشاعر

١ ديوان أبي فراس، ص٢٥٢
٢ السابق، ص٢٥١

العزة عند أسره تنبض الأبيات الآتية _بما ينفث فيها الشاعر من دوال وإيحاءات _بمرارة المعاناة[1]:

ومـــا أَثَـــرِي يـــومَ اللقـــاءِ مُـــذَّمٌ ولا مَـــوقِفي عِنـــدَ الإســـارِ ذَليـــلُ

لقيـــتُ نجـــومَ الأُفـــقِ وهـــي صـــوارمٌ وخُضـــتُ سَـــوادَ الليـــلِ وهـــو خيـــولُ

ولَـــم أرعَ للـــنفسِ الكَريمـــةِ خِلَّـــةً عَشِّـــيةَ لـــمْ يعْطِـــف علـــيَّ خليـــلُ

ولكـــن لقيـــتُ المـــوتَ حتـــى تركتُهـــا وفيهـــا وفـــي حَـــدِّ الحُســـامِ فُلـــولُ

يعتد أبو فراس كثيرا بثباته وصبره وقت أسره، ويردد صورا من شموخه وصموده، فلم يكن ذليل نفس ولا مُذمم ذكر، وبصورة توحي بصبره على الشدائد تنبض بنية البيت الثاني، بما تفعله الأفعال الماضية من دلالات الثبوت والاستقرار (لقيت /خضت)، ثم تتضافر بنية الأسلوب لتعمق المعنى الدلالي (خضت سواد الليل) التي توحي بجسارته في خوض وارتياد المجهول والمخيف رغم خذلان الخلان (لم يعطف علي خليل)، (تركتها وفي حد الحسام فلول).

وفي استغراقه في تأمل حاله بالأسر جاشت عواطفه بالدفقة الشعورية الآتية[2]:

هـــل تعطفـــانِ علـــى العَليـــل؟ لا بالأســـــــيرِولا القَتيـــــــل!

باتـــــتْ تُقلبـــــه الأكُـــــ م ـــفُّ سَـــحَابةَ الليـــلِ الطويـــلِ

يرعَـــى النجُـــومَ الســـائرا م تِ مِـــن الطلـــوعِ إلـــى الأُفـــولِ

فَقَـــدَ الضـــيوفُ مَكانَـــهُ وبكـــاهُ أبنـــاءُ الســـبيلِ

واستوحشـــــتْ لفِراقـــــهِ يـــومَ الـــوغَى ســـربُ الخيـــولِ

وتعطلَـــتْ سُـــمرُ الرمـــا م حِ وأغمـــدت بـــيضُ الأصـــولِ

يافَـــارجَ الكَـــربِ العظيـــ م ـــم، وكاشِـــفَ الخَطْـــبِ الجليـــلِ

---

١ السابق، ص٣٥٤

٢ السابق، ص٢٧٣

كُـــن يـــاقوي لـــذا الضغيـــ م ـــــفِ ويـــــاعزيزُ لذاالـــــذليلِ

إن قراءة فنية لهذه الدفقة لترينا مدى تأثير الحالة النفسية على انتقاء الدوال والتراكيب وبنية الأداء، فأول ما يلفتنا (التدوير) الذي يؤدي دلالة انشطار النفس بين شطرين كما انشطرت قوافيه بين قافيتين، "والشعراء الذين يغلب عليهم الجنوح إلى التدوير هم الشعراء ذوي النزعة الوجدانية والتجديدية، الذين يميلون إلى البحور التي تتسم بالغنائية والتدفق النغمي"[١] فالشاعر ههنا لديه نوع من الإنكار النفسي لكونه أسيرا وعزة تنفي احتمالية كونه قتيلا؛ لذا ينتقي بنية (العليل) لتشي بمعاناته الباطنية، إذ العلة لا تنتقص نفسا ولا تحط قدرا، فالكل أمام العلات سواء.

وينتقي أبو فراس صورة (تقلبه الأكف) ليمزجها بصورة (الليل الطويل) فتكون صورة مركبة تعمق من دلالات الألم النفسي لدى الشاعر، إذ تؤدي بنية الفعل (تقلب) دلالة الترنح وعدم الثبات والهدوء النفسي، ويأتي التدوير في (الأكف) ليوحي بانشطار أماني الذات وعدم اكتمالها، ثم تأتي سحابة الليل المتصف بالطويل، ليعبر عن معاناة طويلة الأمد، ثم تتوالي الدوال لتصب في ناتج دلالي واحد: (فقدَ/ بكاه/ استوحشت/فراقه/ الوغى/تعطَّلت/أغمدت) إن شيئا من معاني المعجز يغلف تلك الدوال لتصب في دلالة واحد، إذ (الفقد) ينفث أنفاسه عبر امتداد البنية الشعرية.

ثم ينتقل الشاعر وجدانيا إلى الدعاء وأسلوبيا لأسلوب الإنشاء في ختام النفثة الشعرية ببنية النداء المشربة بالرجاء والأمر المشرب بأمل في عفو

١ حفيظة إسماعيل رمضان،التدوير في الشعر العربي،أسبابه ودوافعه، جامعة الأزهر، مجلة كلية الدراسات الإسلامية بالإسكندرية،المجلد ١٨، العدد ٢، ٢٠٠٢م،ص٩٢٢، والهوامش المذكورة بالصفحة

الرحمان، فتكون الرؤية الكلية ممتزجة بين أمل وألم وصخب وسكينة وخبر وإنشاء ،فتخلد رؤيته الإبداعية خلود تنوعه في طرائق التعبير الشعري.

وبذلك يكون أبو فراس قد حقق بلغته الشاعرة في تجارب شعره التأملي ذلك الأثر المرجو في وجدان المتلقي؛ إذ "النصوص وحدات تواصلية تتحقق لغويا" [١]، وقد أبدع الشاعر فنيا في خلق حلقات تواصل بين شعره والمتلقي تمتد لآماد بعيدة.

١ زتسيسلاف وأورزنياك،علم النص، مشكلات بناء النص،ترجمه وعلق عليه: أ.د سعيد حشن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٣ م،ص ٣٨

سابعا:الخاتمة وحصاد البحث :

خلُصت هذه الدراسة إلى مايلي:

- هيمنت على تجارب أبي فراس الحمداني التأملية مضامين شعرية معينة وأفكار تتردد أصداؤها في فضاءات نصوصه الشعرية.
- تمثل تجربة الأسر الوقدة التي تفجرت منها ينابيع تأملات أبي فراس الحمداني؛ إذ أتاح الأسر له الكثير من مراجعات النفس وإعادة تقييم الأمور والنفوس.
- كان لتجربة الاغتراب التي عاناها الشاعر الأثر البالغ في نزوعه إلى التأمل؛ إذ تدفقت في شرايينه دماء الوحدة وافتقاد الأنس.
- تنوعت تأملات أبي فراس لتشمل تأملات في النفس والكون والحياة وفق رؤية فلسفية تستبطن ماوراء الظاهر.
- جاءت لغة أبي فراس الحمداني في شعره التأملي مفعمة بالأضداد والمفارقات مما عمق من هوة الصراع داخله؛ إذ جاءت لغته رمزا لوعاء أفكاره وخلجات فؤاده.
- على مستوى الأسلوب والتركيب، مازج أبو فراس بين الخبر والإنشاء، وبنى النفي والإثبات،مراوحا بين مستويات تعبيرية متنوعة تنوع التجارب التأملية التي انفرد بالإبداع فيها.
- جاءت صور أبي فراس الحمداني منوعة بين الأسلوبين الإيحائي والرمزي.
- تُعد ثنائية الحضور والغياب إحدى البؤر الدلالية التي انطلقت منها تشكيل الصورة في تأملات الشاعر.
- انتقى أبو فراس لتجارب شعره التأملي صورا تجسد معاناته وتقرب للمتلقي رؤيته الباطنية للأمور والأشياء، وقد كانت الطبيعة أهم روافد تشكيل صوره في التأملات.

- يعلو الجانب الروحي على المادي في شعر أبي فراس التأملي ، فبدا شعره أبديا يخلق نقطة تماس بين الوجود والموجودات.
- يتمتع أبو فراس بنزعة دينية تبدت في العديد من تجاربه التأملية ،كتأملاته في الحياة والموت ،والفناء والبقاء، والهدى والضلال،والمفقود والموجود.
- مارس أبو فراس الصبر ورسخ له في تأملاته الشعرية بالعديد من أدوات التعبير الأسلوبي والبياني.
- تناول أبو فراس أمراض القلوب، كالحسد والغل والغيرة بتأمل فلسفي عميق يسبر أغوار النفس ويحللها.
- كانت أحاسيس الافتقاد لدى أبي فراس لمشاعر الأنس والمودة الخالصة بؤرة نفسية ودلالية تفجرت منها العديد من تجاربه التأملية.

المراجع:

أولا– الكتب:

- إبـراهيم أنـيس، د عبـد الحلـيم منتصـر، محمـد خلـف الله احمد،عطيـة الموالحي،المعجم الوسيط،ج٢، دار المعارف، مصر،١٩٧٣م.
- ابن منظور، لسان العرب، ط٢،(د ت)، دار صادر ،بيروت،لبنان.
- أبـو فـراس الحمـداني، ديـوان، شـرح د:خليـل الـدويهي، بيـروت، دار الكتـاب العربي، ط٢، ١٩٩٤م.
- أحمـد أبـو حاقـة،أبو فـراس الحمـداني، بيـروت، منشـورات دار الشـرق الجديد،١٩٦٠م .
- أحمـد أحمـد بـدوي، شـاعر بنـي حمـدان، مطبعـة الأنجلـو المصـرية، ط٢، ١٩٥٢م .
- بـاكير محمـد علي،أسـلوب الحـذف فـي الجملـة الفعليـة ،دار كتـابي للطباعـة والنشر والتوزيع،ط ١، ٢٠٢١م
- جبران مسعود، الرائد (معجم لغوي مصري)، مجلد ٢، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٧٨م.
- الزبيدي، تاج العروس في جواهر القاموس،(د ت)، دار الحياة.
- زتسيسلاف وأورزنياك،علم النص، مشكلات بنـاء النص،ترجمـه وعلق عليـه: أ.د سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط١،٢٠٠٣ م.
- زكي نجيب محمود (دكتور)، مع الشعراء، دار الشروق، ط٢، ١٩٨٠م.
- الشريف ميهوني، بناء الجملة الخبرية في شعر ابي فراس الحمداني، دراسة توليدية تحويلية، دار الشئون الثقافية، ١٩٨٨م .
- شـوقي المعـريّ (دكتور)،أبـو فـراس الحمـداني، الهيئـة العامـة السـورية للكتاب،وزارة الثقافة،٢٠١٣م .

- عبد الكريم اليافي، دراسات فنية في الأدب العربي، بيروت، مكتبة لبنان، ط١ ، ١٩٩٦م
- عز الدين إسماعيل (دكتور)، الشعر العربي المعاصر، دار العودة بيروت، ط ٥ . ١٩٨٨م.
- محمد التونجي (دكتور)، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج ١،ط ٢،١٩٩٩م.
- ميخائيل نعيمة، الغربال،دار المعارف للطباعة والنشر،(د.ت).
- ميرهوف هانز، الزمن في الأدب؛ ترجمة أسعد رزوق، مراجعة العوضي الوكيل، القاهرة، مؤسسة سجل العرب،١٩٧٢ م.
- النعمان القاضي، أبو فراس الحمداني، الموقف والتشكيل الجمالي، القاهرة، دارالثقافة للنشر والتوزيع،١٩٨٢م.
- وجدي أمين الجردي، أدب التأمل عند المنفلوطي،دراسة في نصوص النظرات والعبرات،القاهرة،دار الفكر اللبناني، ط١، ٢٠٠٥م .

ثانيًا- الحوليات والمجلات:

- أحمد فوزي الهيب، ثنائية الموت والحياة في شعر أبي فراس الحمداني، مجلة التراث العربي، العدد ١٠٥، يناير ٢٠٠٧م .
- حازم حسن سعدون، فاعلية النص الشعري بين الحضور والغياب في روميات أبي فراس الحمداني،جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، المجلد ٢٩، العدد ١، ٢٠١٨،م.
- حفيظة إسماعيل رمضان،التدوير في الشعر العربي،أسبابه ودوافعه، جامعة الأزهر، مجلة كلية الدراسات الإسلامية بالإسكندرية،المجلد ١٨، العدد ٢، ٢٠٠٢م.

- حنان أحمد عبد الله، النفسية الساخطة في روميات أبي فراس الحمداني (عرض وتحليل ونقد)،جامعة الأزهر، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، المجلد ٣١، العدد ١، ٢٠١١م.
- زكية بنت عوض الحارثي (دكتورة)، التشكلات الدلالية للخوف في شعر أبي فراس الحمداني، المملكة العربية السعودية ،جامعة الملك سعود،قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب،مجلة كلية الدراسات العربية والإسلامية للبنات بدمنهور،العدد الخامس، الجزء السادس،٢٠٢٠م.
- سالم عبد الرزاق سليمان، بنية المفارقة وأنماطها في روميات أبي فراس الحمداني، الجامعة المصرية للدراسات السردية،العدد ٣٢، ٢٠١٩م.
- سلمان باني، محمد فرحان، دلالة الحذف في شعر الدكتور زهير غازي زاهد، مجلة اللغة العربية وآدابها،العدد ٣٥، ٢٠٢٢م.
- سميرة سلامي (دكتورة)،أبو فراس الحمداني في رحلة صيد ترفيهية(دراسة في أرجوزته الطردية)،مجلة جامعة دمشق، المجلد ٣٢،العدد الثاني، ٢٠١٦م .
- عبد الصاحب مهدي علي (دكتور)،مفهوم الشعر ولغته، خصائص النص الشعري، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الإمارات العربية المتحدة،المجلد ٨، العدد ٣،أكتوبر،٢٠١١م.
- عفاف الحاج بابكر، المفارقة اللفظية بين الرؤية والتشكيل: قصيدة " فخر وعتاب" لأبي فراس الحمداني نموذجا، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود،العدد ٣٣، ج٥، ٢٠٢٠م .
- عمر عبد العزيز الحسيني،الاغتراب بين أبي فراس والمعتمد بن عباد،دراسة وموازنة، جامعة الأزهر،مجلة كلية الدراسات العربية والإسلامية للبنات بالإسكندرية ،المجلد ٢٦ ،العدد ٤ ، ٢٠١٢م

- فيصل أصلان، التدوير والتضمين في شعر ابن النقيب الحسيني الدمشقي، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٨، العدد ٢ ، ٢٠١٢م.
- كريم عجيل الهاشميّ، الاغتراب والحنين في شعر أبي فراس الحمداني، جمهورية العراق،جامعة واسط، مجلة كلية التربية، العدد ١٤، ٢٠١٣م.
- مريم جبر فريحات، الزمن في شعر أدونيس، قصيدة الوقت نموذجا، المجلة العربية للآداب، المجلد ٣، العدد١،٢٠٠٦م.

ثالثًا– الرسائل:

- سعاد عزيز جداع، الصورة الاستعارية في شعر أبي فراس الحمداني، جمهورية العراق، جامعة ديالي، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، ٢٠١٢م.
- معزيز مختارية، النزعة التأملية في الشعر العربي الحديث،إيليا أبو ماضي نموذجا،مقاربة تحليلية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراة في الأدب العربي، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، جامعة جيلالي ليابس/سيدي بلعباس،كلية الآداب واللغات والفنون،قسم اللغة العربية وآدابها،٢٠١٨م–٢٠١٩م.